

ضحك الألمان من اسمه... قبل ان يتهافتوا على موسيقاه لاحقاً . ربيع ابو خليل: صعوبة الاستماع للموسيقى دليل على فشلها

فكتور سحاب **نشر في الحياة يوم 11 - 01 - 1998**

ظهر في ألمانيا قبل خمس عشرة سنة موسيقي لبناني اسمه ربيع أبو خليل، يعزف على العود ويلحن ويصدر اسطوانات. ربيع أبو خليل تجربة حضارية جديدة في مساحة تقع في وسط التأثر والتأثير بين الشرق العربي والغرب الأوروبي. لا يمكن اختصاره بأنه جاز عربي. ولا يمكن القول إنه متمسك بالأصالة في موسيقاه، مع

هل هو متناقض؟ هل هو غني، ملوّن، منفتح؟ هل يقتحم آفاقاً جديدة محيّرة بعض الشيء؟ إنه كل هذا... وقد نجح في تثبيت
ولد ربيع أبو خليل سنة 1957 في مشغرة البقاع الغربي - لبنان، وهي قرية أنجبت كبير الموسيقيين اللبنانيين زكي نـ
وثيقة، تجمعه به أن العائلتين، ناصيف وأبو خليل، ارتزقتا من دباغة الجلود، وهي مهنة رائجة في مشغرة. كان جد ربيـ
والده وليم. أما والدته وفاء برباري فكانت في الموسيقى تهوى فرانك سيناترا وهاري بلافونتي... لا شيء يوحي بأن العائـ
الريفي: الدلعونا والغزيّل وما إليهما. نشأ ربيع وأخوه وأختاه في هذه البيئة الريفية، فاستمعوا إلى وديع الصافي وصباح
عبدالوهاب وصوت أم كلثوم إلا بعد البلوغ، ودخول عالم الموسيقى محترفاً في المانيا، التي هاجر إليها في الواحدة والعشرين
هناك في بافاريا أنهى دراسته الثانوية، ثم انتسب الى المعهد العالي للموسيقى موزيك هوخشوله في ميونيخ، فحصل على شها
يد أستاذ بارع في التعليم، وإن لم يشتهر عازفاً، هو فالتر تويرر. لم يكن للعود الذي حمله ربيع معه إلى المانيا أية علاقة عضو
العربية العظيمة واتقانه العزف عليها وشعوره بأنها تعبّر عن وجدانه العربي أكثر من آلة الفلوت، جعلته بعد الدراسة يعود إليه
تعلمها في المعهد العالي، على العود.

وأكملت زوجته الألمانية سابينا رحلة عودته إلى جذوره حين أخذت تكتشف معه كنوز محمد عبدالوهاب وأم كلثوم وكل مآثر الم
على خوض غمارها. ولم يعد ربيع أبو خليل إلى الموسيقى العربية عازفاً على العود، بل مؤلفاً موسيقياً أيضاً، عملاً برغبة أسـ
بل موسيقيين".
يزيد ربيع قائلاً: "أفضل ما فعلت من دراستي، في نظري، أنني لم أكتفِ باتباع نصيحة أستاذي لأصبح موسيقياً لا عازفاً، بل ا
فطبقته على العود. في البدء خفت ألاّ يلقى العود صداه لدى الألمان، فصدرت لي أسطوانة على الفلوت وآلات أخرى، من تلحيـ
الأولى، التي أنتجتها بنفسي، بعدما امتنع المنتجون الألمان عن إنتاجها. كانت مرحلة الشك هذه صعبة للغاية. كنت أقول لهم: ا
لهم انني أريد أن أسجّل اسطوانة على آلة عربية اسمها العود، فيضحكون أكثر. النجاح لم يشجعني وحدي. شجعهم هم أيـ
الاسطوانات في المانيا إنيا - Enja على عاتقها انتاج كل أعمالي اللاحقة، منذ عشر سنوات".
1 - بين الغسق والفجر - 1987.

2 - بُكرة - 1988.
3 - جذور وبراعم - 1990.
4 - الجديدة - 1991.
5 - طرب - 1992.
6 - الجمل الأزرق - 1993.
7 - نزهة السلطان - 1994.
8 - الفالس العربي - 1996.
9 - أوقات شاذة - 1997.

تمنى ربيع أبو خليل لو أنه لا يتقن قراءة "النوتة". قال: "حين أقرأ النوتة، أفقد الكثير من متعة الإحساس السحري بالموسيقى على الجملة لا على الحروف وتركيبها. لا يفكر الشاعر بالحروف التي تكون قصيدته. وحين أؤلف موسيقى، لا أستطيع أن اتـ على الانسان غناءها، لم تعد موسيقى في نظري، مع ان كل اسطواناتي معزوفات لا غناء فيها، بالصوت البشري".
طرحتُ على ربيع أبو خليل مسألة انتمائه الى الموسيقى العربية والأصالة، في ضوء نشوئه بين والدين مختلفي الأذواق، وفي ـ والعود والدلعونا، الى عالم الموسيقى الغربية وعلومها، ثم عودته الى عالمه العربي من باب محمد عبدالوهاب وأم كلثوم وريا عزفاً على العود بين التقليديين، فقال إنه لا يفكر حين يؤلف اذا كان يرغب في الاصالة أو في غيرها. فالموسيقي يعبّر عن مزاج تعمد أو تكلف، وإلا خرج من نطاق الفن الى نطاق المقالة الفكرية.

أضاف: "لكل شعب في العالم موسيقاه، وكل موسيقى تختلف عما عداها. وهذا هو عين الجمال في الموسيقى".
وليس في موسيقى ربيع أبو خليل تجانسات هرمونية، بل تتسم مؤلفاته بالجملة اللحنية، فيقول في هذا: "الغرب هو الذي ا الغربيون، فكانوا أسياداً فيما ابتكروا. أما الموسيقى العربية فتتفوق على الأخص في الإيقاع المركب، ولا اعني الإيقاع الذي تؤد اللحنية أيضاً، والإيقاعات العزفية بين آلة موسيقية وأخرى. أريد ان اعطي العالم اجمل ما لديّ من موسيقى. لذلك أتجنب اله لبناني وعربي، ان يتفوق في الهرمونيا على الغربيين، ولا ان يعطي في مجالها اي جديد. أما في الإيقاع المركب والتأليف اللحـ على إيتاء الجديد. وحين اتفقت مع عازف آلة التوبا ميشال غودار على تسجيل اسطوانتي "الفالس العربي" 1996، اطّلع غودا لا يمكن عزفها".

ويشرح ربيع أبو خليل سبب هذه الصعوبة، فيقول: "إذا نظرت في الحصة المكتوبة لكل آلة موسيقية على حدة، لم تجد موسيقى الأربع أو الست معاً، فستكتمل لديك الجملة اللحنية، وإذن الموسيقى. وهذا ما حدث فعلاً. وهذا ما أقصده بالإيقاع المركّب والمـ الصعوبة يلاحظها المؤلف والعازف فقط، ولا يلاحظها المستمع. المستمع يجب الاّ يشعر بصعوبة حين يستمع إلى الموسيقى و ينبغي للمستمع أن يظن أن الموسيقى سهلة. هذا مبدأ. وحين تكون الموسيقى عميقة وعظيمة، يستطيع المستمع أن يتذوقها جديدة عند كل مستوى".
إذن، هل يسعى ربيع أبو خليل إلى تعمّد إحداث أثر معين في المستمع؟ يقول: "نعم، لا بد للموسيقى من أن تحدث لدى Spannung، أي التشويق، بإبراز الفروق بين الجمل اللحنية، والآلات المختلفة، وربما بتنويع الإيقاعات وتبديل السرعة، وهـ اللحنية نفسها، فيعترض بعض العازفين احياناً على أساس أن هذا غير "أصولي" في التأليف. لست آبه للقواعد. همّي المو العزف سعياً إلى التشويق ورفع وتيرة الحماسة والتوتر لدى المستمع".

أسأله عن التجارب الأخرى الشبيهة بتجربته، أي الموسيقيين العرب الذين يعزفون لجمهور غربي، فيقول: "إن على المو

الموسيقى العربية متمدن أكثر كثيراً من الإيقاعات البدائية في الموسيقى الغربية. موسيقيو "الراي" المغاربة نقلوا من الغر العربية. لكن الإيقاع هو أسخف ما لدى الغرب في موسيقاه. فلو أردنا أن نستعير منه الهرمونيا لما برعنا فيها. في تلحيننا العر أحافظ على الموجود. نستطيع مثلاً أن نخترع مقامات جديدة، عربية. لكنني لن أجلس على الطاولة لأقول: الآن سأخترع مقاماً أستطيع أن أبتكر مزاجاً جديداً، لأنني بحاجة الى التعبير عن هذا المزاج".

في اسطوانته Odd Times أوقات شاذة - 1997 نمط واضح من هذه المقامات الغربية الجديدة، المبنية على روح مقامية عر والأميركيين الذين افتتنوا في الستينات بالنيبال والبلاد المجاورة للهند، بعض الوقت. كذلك في اسطوانة بين "الغسق والفجر" 7 أخيراً، هل يهم ربيع أبو خليل أن يعبّر عن نفسه فقط، بصفته فناناً يبحث عن تعبير يروي ظمأ نفسه، أم أن لديه آراء في مست يفتح أبواباً ليدلنا عليها، عبر موسيقاه؟

يقول: "أحد الأسباب التي تجعلنا نسلك سبيل الفن هو أننا نعبّر عن أشياء لا نعرف ما هي، ولا أين ستصل بنا. موسيقانا الـ الخيال. الكل يتكلم مثل الكل. لا أحد يحاول ان يتصور الامكانات التي أمامنا، ليقتحم أبوابها. أنا أشعر بالأسى لهذا الأمر، إذ انه ي المنافسة. المنافسة تحسّن الأشياء، وتحسّن الناس، وإذا لم أجد منافسة جيدة، فلن أصبح جيداً أنا نفسي. إذا فكرت بمحمد عب استطيع ان أتخيل أن يأتينا غناء أفضل. ولكنني أريد أن أسمع موسيقى جديدة فيها لمعة خيال جديد وشخصية جديدة. الشخص نبرة تسمع فيها أم كلثوم، تعرف صوتها. كذلك عبدالوهاب، ونقرة عود السنباطي وألحانه. اليوم تسمع فلا تعرف من الذي ي عرض وطلب. وهذا ليس فناً، إنه تجارة، والسلع رخيصة".

انقر هنا لقراءة الخبر من مصدره.



ربيع أبو خليل في أسواق بيروت... الموسيقى بلا تصنيفات
ألغيت أول جولة موسيقية لي في سوريا والأردن العام الماضي
رافي شنكر جسر الغرب إلى الموسيقى الهندية
الشارقة: مطر وموسيقى وأنغام تزين الحياة
ضمن مهرجانها الثاني للموسيقى العالمية
أغاني سيد درويش في مزيج شرقي - غربي
سعورس
متابعة الصفحة
سعورس
about 2 years ago
تعادل منتخب الأخضر السعودي مع نظيره البنمي بنتيجة 1-1 خلال المو
الخميس، على ملعب آل نهيان في أبو ظبي العاصمة الإماراتية في ختام م
المرحلة الثالثة من الاستعدادات لكأس العالم 2022.
وتقدم منتخب بنما بهدف السبق عن طريق إسماعيل دياز "8"، ونجح الأ
تعديل النتيجة (...)